قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

العقائد السريالية الجديدة دراسة نقدية في ظهور معتقدات ميثولوجية معاصرة

The New Surreal Beliefs: A Critical Study on the Emergence of Contemporary Mythological Beliefs

م. د. واثق مانع محمد الجميلي*

كلية الإمام الأعظم الجامعة – الأنبار

Keywords:

urreal New S Beliefs, Contemporary Mythology, Modern Spirituality, Digital Myth, Theological Critique

Abstract

The contemporary world resembles a vast stage where scientific achievements coexist with the lingering shadows of myth. While modernity celebrates technological progress, unusual forms of within the margins of collective consciousness, often blending imagination, belief continue to emerge spirituality, and fragments of scientific language. This study examines what can be described as New imagination with Surreal Beliefs, a set of contemporary belief systems that merge mythological individualized spirituality and selective interpretations of scientific concepts. These beliefs have flourished within a rapidly evolving cultural environment shaped by digital communication, global arch for existential meaning. The study adopts a critical information flows, and an intensified se theological perspective. It first clarifies the concept of new surreal beliefs and distinguishes them al and from traditional mythologies and historical spiritual movements. It then analyzes the intellectu cultural contexts that contributed to their emergence, including the crisis of meaning in late modernity, the influence of digital culture, and the growing appeal of individualized spirituality. The re underlying these beliefs, demonstrating how research further explores the mythological structu ancient symbolic patterns are often reformulated in contemporary narratives that combine scientific vocabulary with mythic imagination. Finally, the study evaluates these developments through the Islamic theological thought, focusing on the nature of revelation, the sources of framework of religious knowledge, and the criteria for distinguishing authentic belief from mythological der intellectual and constructions. The study concludes that the spread of such beliefs reflects a broa spiritual vacuum within parts of contemporary culture, highlighting the need for a renewed theological discourse capable of engaging modern existential questions while remaining rooted in authentic religious foundations.

* **Instructor. Wathiq Mani' Mohammed Aljumaily, PhD**

wathiq.mani75@imamaladham.edu.iq

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول: ٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

العقائد السريالية الجديدة، الميثولوجيا المعاصرة، الروحانيات الحديثة، الأسطورة الرقمية، النقد العقدي.

الملخص

العالم المعاصر يشبه مسرحاً واسعاً تتداخل فيه صور العلم مع ظلال الأسطورة. العقل الحديث يتباهى بمنجزاته التقنية، وفي الوقت نفسه تنبت في أطراف الوعي أنماط غريبة من الاعتقاد، تشبه نباتات برية خرجت من شقوق الإسفلت. من هنا ينطلق هذا البحث، محاولاً قراءة ظاهرة ما يمكن تسميته بالعقائد السريالية الجديدة؛ وهي منظومات اعتقادية معاصرة تمزج بين الخيال الميثولوجي والروحانيات الفردية وبعض المفاهيم العلمية المقتطعة من سياقها. هذه الظاهرة ظهرت في فضاء ثقافي يتسم بتسارع المعلومات واتساع المجال الرقمي، حيث تنتشر الأفكار بسرعة غير مسبوقة وتجد طريقها إلى عقول الباحثين عن معنى يتجاوز المادية الصارمة. يعالج البحث هذه الظاهرة من زاوية عقدية نقدية، فيسعى أولاً إلى تحديد مفهوم العقائد السريالية الجديدة وتمييزها عن الأساطير التقليدية أو الحركات الروحية التاريخية. ثم يتجه إلى تحليل السياقات الفكرية والثقافية التي أسهمت في ظهورها، مثل أزمة المعنى في الحداثة المتأخرة، وانتشار الثقافة الرقمية، وعودة النزعات الروحانية الفردية في المجتمعات المعاصرة. وفي خطوة لاحقة يتناول البحث طبيعة البنية الميثولوجية لهذه المعتقدات، مبيناً كيف تُعاد صياغة رموز قديمة في صور حديثة تجمع بين اللغة العلمية والخيال الأسطوري. كما يقدم البحث قراءة نقدية لهذه الظاهرة في ضوء التصور العقدي الإسلامي، من خلال تحليل مفهوم الوحي، ومصدر المعرفة الدينية، ومعايير التمييز بين الاعتقاد المشروع والتصورات الأسطورية. ويخلص البحث إلى أن انتشار هذه العقائد يعكس فراغاً معرفياً وروحياً في بعض البيئات الثقافية المعاصرة، ويؤكد الحاجة إلى خطاب عقدي قادر على مخاطبة الأسئلة الوجودية للإنسان الحديث بلغة معرفية رصينة تجمع بين عمق التراث ووعي التحولات الفكرية المعاصرة.

١. المقدمة

الحمد لله الذي أنار العقول بنور التوحيد، وفتح للإنسان أبواب النظر في ملكوت السماوات والأرض، فجعل الإيمان معرفةً تهدي القلب وتطمئن بها النفس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء برسالة ترفع الإنسان من ظلمات الوهم إلى يقين الوحي، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه في طلب الحقيقة وبناء الوعي إلى يوم الدين. يمرُّ الفكر الإنساني في عصرنا بحالة من التحولات العميقة؛ فالعالم يتسارع في إيقاعه، والتقنية تمدُّ جسوراً غير مسبوقة بين الثقافات، والإنسان المعاصر يعيش داخل فضاء معرفي واسع تتقاطع فيه العلوم والفلسفات والرموز الروحية القديمة. هذه البيئة الثقافية الجديدة لم تنتج تقدماً معرفياً فحسب، بل أفرزت أيضاً أنماطاً غريبة من الاعتقاد؛ معتقدات تمزج بين الخيال الميثولوجي وبعض المفاهيم العلمية المتداولة في الثقافة الشعبية، وتستعير من الرموز الدينية القديمة صوراً جديدة تُعاد صياغتها داخل خطاب روحي معاصر. في هذا السياق ظهرت ظاهرة يمكن وصفها بـ العقائد السريالية الجديدة؛ وهي منظومات اعتقادية لا تنتمي إلى الأديان التاريخية المعروفة، ولا تندرج ضمن الأساطير التقليدية، وإنما تتشكل في فضاء ثقافي هجين يجمع بين الروحانية الفردية والخيال

الميثولوجي وبعض مفاهيم العلم الحديث. هذه الظاهرة تثير اهتمام الباحث في العقيدة وعلم الكلام؛ لأن الاعتقاد في التصور الإسلامي يقوم على مصدر معرفي محدد يتمثل في الوحي، وعلى منهج عقلي منضبط في فهم النصوص واستنباط الدلالات. أما العقائد السريالية المعاصرة فتتشكل غالباً خارج هذا الإطار، إذ تعتمد على سرديات رمزية وصور خيالية تستمد قوتها من الثقافة الرقمية ومن الرغبة الإنسانية القديمة في البحث عن الغيب والمعنى. هنا يظهر السؤال العقدي: كيف تتشكل هذه المعتقدات في المجتمعات المعاصرة؟، وما طبيعة البنية الميثولوجية التي تقوم عليها؟، وكيف يمكن قراءتها نقدياً في ضوء التصور العقدي الإسلامي؟ تنبع أهمية هذا البحث من عدة اعتبارات؛ أولها أن الظاهرة تمثل أحد ملامح التحولات الفكرية في العصر الرقمي، حيث تنتشر الأفكار بسرعة هائلة عبر وسائل الإعلام والمنصات الإلكترونية، فتصل إلى جمهور واسع من الأفراد الباحثين عن معنى روحي في عالم يغلب عليه الطابع المادي. وثانيها أن هذه العقائد تعكس أزمة معرفية يعيشها الإنسان المعاصر، إذ يحاول الجمع بين اللغة العلمية الحديثة والخيال الميثولوجي القديم في محاولة لبناء تصور شامل للوجود. وثالثها أن دراسة هذه الظاهرة من زاوية عقدية تسهم في توضيح الفارق بين الاعتقاد القائم على الوحي والبرهان، وبين التصورات الميثولوجية التي تتشكل في المخيلة الثقافية المعاصرة.

تنطلق إشكالية البحث من محاولة فهم طبيعة العقائد السريالية الجديدة بوصفها ظاهرة فكرية حديثة، والسؤال عن العوامل الثقافية والمعرفية التي أسهمت في ظهورها وانتشارها. ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات؛ ما المقصود بالعقائد السريالية الجديدة؟ وما علاقتها بالميثولوجيا المعاصرة وبالحركات الروحية الحديثة؟ وما السياقات الفكرية والثقافية التي مهدت لظهورها في المجتمعات المعاصرة؟ ثم ما طبيعة هذه المعتقدات من حيث بنيتها الرمزية وخطابها المعرفي؟ وكيف يمكن تقويمها نقدياً في ضوء أصول العقيدة الإسلامية ومصادر المعرفة الدينية؟ يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف؛ أولها تحديد المفهوم العلمي للعقائد السريالية الجديدة وبيان خصائصها الفكرية. وثانيها تحليل العوامل الثقافية والفلسفية التي أسهمت في نشوء هذه المعتقدات داخل البيئة المعاصرة. وثالثها دراسة البنية الميثولوجية التي تقوم عليها هذه العقائد وكيفية توظيفها للرموز والأساطير في صياغة خطابها الروحي. أما الهدف الرابع فيتمثل في تقديم قراءة نقدية لهذه الظاهرة في ضوء التصور العقدي الإسلامي، مع بيان الفروق الجوهرية بين المعرفة الدينية القائمة على الوحي وبين التصورات الأسطورية المعاصرة. يعتمد البحث في معالجة هذه القضايا على المنهج التحليلي النقدي، حيث يتم تحليل المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالعقائد السريالية الجديدة وقراءة بنيتها الفكرية قراءة علمية. كما يستفيد من المنهج الوصفي في عرض الظاهرة كما تظهر في الخطابات الثقافية المعاصرة، إضافة إلى توظيف المنهج المقارن في بيان الفروق بين التصورات الميثولوجية الحديثة وبين المفاهيم العقدية في التراث الإسلامي. وانطلاقاً من هذه الإشكالية والأهداف جاء بناء البحث على تمهيد وثلاثة مطالب؛ يتناول التمهيد الإطار المفاهيمي للعقائد السريالية الجديدة وجذورها الفكرية في الثقافة المعاصرة. أما المطلب الأول فيتناول مفهوم هذه العقائد وتحديد مصطلحاتها بين الميثولوجيا الحديثة والروحانيات

المعاصرة. ويبحث المطلب الثاني في العوامل الفكرية والثقافية التي أسهمت في نشوء هذه المعتقدات وانتشارها في البيئة المعاصرة. بينما يختص المطلب الثالث بتقديم تحليل عقدي نقدي لهذه الظاهرة وبيان آثارها في تشكيل الوعي الديني في العصر الحديث. وبذلك يحاول هذا البحث الإسهام في فهم ظاهرة فكرية معاصرة تتشكل عند تقاطع الخيال الميثولوجي مع الثقافة الرقمية، مع تقديم قراءة عقدية نقدية تساعد على تمييز الحدود الفاصلة بين الاعتقاد المؤسس على الوحي وبين التصورات الأسطورية التي تتولد في مخيلة الإنسان المعاصر.

التمهيد

يتقدم الباحث إلى هذا التمهيد كمن يدخل غابة كثيفة من الرموز والصور الفكرية؛ عالم معاصر تتجاور فيه المختبرات العلمية مع عودة غير متوقعة للأسطورة. المفارقة لافتة للنظر. الإنسان الذي استطاع أن يفك شيفرات الجينوم ويرسل مركباته إلى أطراف النظام الشمسي، يجد نفسه في الوقت ذاته منجذباً إلى عوالم غامضة تتشكل فيها معتقدات جديدة، تتغذى من الخيال والروحانية الفردية واللغة العلمية المتداولة في الثقافة الشعبية. هذه الظاهرة، التي يمكن وصفها اصطلاحاً بـــ العقائد السريالية الجديدة، لا تنتمي إلى الأديان التاريخية الراسخة، ولا يمكن إدراجها بسهولة ضمن الأساطير الكلاسيكية التي عرفتها الحضارات القديمة؛ إنها بناء رمزي هجين يتشكل عند تقاطع الخيال الميثولوجي مع الثقافة الرقمية المعاصرة. (تايلور، ٢٠٠٧، ص ٣٧)

اللفظة نفسها تحتاج إلى تأمل قبل الدخول في تحليل الظاهرة. مصطلح السريالية ظهر في الحقل الفني والأدبي في أوروبا خلال القرن العشرين، حين حاول بعض الفنانين التعبير عن عوالم اللاوعي والأحلام والخيال الحر. غير أن الكلمة في السياق الذي يعالجه هذا البحث تأخذ دلالة أوسع؛ فهي تشير إلى منظومات اعتقادية تتجاوز الواقع المحسوس إلى عوالم رمزية تجمع بين الأسطورة والروحانية والتأويلات الشعبية لبعض المفاهيم العلمية. هذا النوع من الاعتقاد يشبه بنية الحلم؛ عناصر مأخوذة من الواقع تختلط بصور متخيلة فتنتج خطاباً يبدو للمتلقي عميقاً وغامضاً في آن واحد. (بودريار، ١٩٩٦، ص ٦١) الثقافة المعاصرة وفرت بيئة مناسبة لنمو هذا النمط من المعتقدات. الثورة الرقمية خلقت فضاء معرفياً واسعاً تتدفق فيه المعلومات والصور بسرعة غير مسبوقة. الإنسان يعيش اليوم داخل شبكة عالمية من الخطابات؛ مقالات علمية، تأملات روحية، قصص ميثولوجية، نظريات فلسفية. هذه المواد المتنوعة تختلط في ذهن المتلقي وتعيد تشكيل تصوراته عن العالم. بعض الأفراد يحاولون بناء رؤية كونية تجمع بين هذه العناصر المختلفة، فتظهر معتقدات جديدة تتخذ من اللغة العلمية والرمزية الروحية مادة لبناء سرديات كونية بديلة. (كاستلز، ٢٠١٠، ص ٣٩٨) هذه الظاهرة ليست معزولة عن السياق الفكري العام للعصر الحديث. علماء الاجتماع يشيرون إلى أن الحداثة المتأخرة أنتجت حالة من القلق الوجودي لدى الإنسان؛ التقدم العلمي أزال كثيراً من الغموض عن الكون، غير أنه فتح في الوقت نفسه أسئلة جديدة حول معنى الحياة ومصير الإنسان. في ظل هذا الفراغ الوجودي تظهر أشكال متعددة من الروحانية الفردية التي تحاول سد الحاجة النفسية إلى المعنى. بعض هذه الروحانيات يستند إلى تقاليد دينية قديمة، وبعضها الآخر يبتكر سرديات جديدة تمزج بين الأسطورة والتأمل الفلسفي.

(بيرغر، ٢٠١٤، ص ٢٤) العقائد السريالية الجديدة تتحرك في هذا السياق الثقافي تحديداً. إنها محاولة لإعادة بناء معنى روحي في عالم يشعر كثير من أفراده ببرودة العقلانية الصارمة. هذه المعتقدات تستعير من العلوم الحديثة مفاهيم مثل الطاقة والكون المتعدد والوعي الكوني، ثم تدمجها مع صور ميثولوجية قديمة تتعلق بالكائنات الروحية أو القوى الخفية. النتيجة خطاب رمزي يبدو للمتلقي مزيجاً من العلم والأسطورة. (ليفي، ٢٠٠٤، ص ٧٩)

المثير في هذه الظاهرة أن بنيتها الرمزية تشبه إلى حد بعيد بنية الأساطير القديمة. الميثولوجيا في الحضارات القديمة كانت محاولة لتفسير الكون من خلال سرديات رمزية؛ الآلهة، الأرواح، القوى الخفية. الإنسان القديم استعمل هذه القصص لفهم العالم الذي يحيط به. الثقافة المعاصرة تعيد إنتاج هذا النمط بطرائق مختلفة؛ بدلاً من الآلهة القديمة تظهر كائنات كونية أو طاقات غامضة، وبدلاً من المعابد القديمة تظهر منصات رقمية تنشر هذه السرديات الجديدة. (إلياد، ١٩٥٧، ص ١٤) القراءة العقدية لهذه الظاهرة تقود إلى ملاحظة مهمة. القرآن الكريم يلفت النظر إلى ميل الإنسان إلى البحث عن الغيب والمعنى، وهو ميل فطري في بنية النفس البشرية. يقول تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. وجه الدلالة أن الإنسان يحمل في داخله استعداداً فطرياً للبحث عن الحقيقة الإلهية. حين يتصل هذا الاستعداد بالوحي يتشكل الإيمان القائم على المعرفة واليقين، وحين ينفصل عن الوحي قد يتجه إلى بناء تصورات ميثولوجية تحاول تفسير الغيب بوسائل رمزية. (الطبري، ٢٠٠٠، ص ٨٧) من هنا يمكن فهم أحد الجذور العميقة لظهور العقائد السريالية الجديدة. الفطرة الدينية تبحث دائماً عن معنى يتجاوز حدود العالم المادي. المجتمعات التقليدية كانت توفر لهذا البحث إطاراً دينياً واضحاً من خلال المؤسسات الدينية والتراث العقدي. المجتمعات المعاصرة، ولا سيما في البيئات التي تراجعت فيها المرجعيات الدينية التقليدية، تركت الفرد في مواجهة أسئلة الوجود دون إطار معرفي واضح. في هذه المساحة المفتوحة تظهر محاولات فردية لبناء رؤى روحية بديلة. (تايلور، ٢٠٠٧، ص ٣١٢) الثقافة الرقمية تلعب دوراً حاسماً في انتشار هذه الظاهرة. المنصات الإلكترونية تسمح لأي فرد بنشر أفكاره وتأملاته الروحية والوصول إلى جمهور واسع من المتابعين. الأفكار تنتقل بسرعة، والسرديات الرمزية تنتشر عبر مقاطع الفيديو أو النصوص القصيرة. بعض هذه السرديات يكتسب مع الوقت طابعاً شبه عقدي؛ جماعات من الأفراد تتبنى هذه الأفكار وتعيد إنتاجها في صور جديدة. (كاستلز، ٢٠١٠، ص ٤١٢) في هذا السياق يصبح من الضروري التمييز بين ثلاثة مستويات فكرية. المستوى الأول هو الدين التاريخي الذي يقوم على الوحي والنصوص المقدسة. المستوى الثاني هو الميثولوجيا التقليدية التي ظهرت في الحضارات القديمة بوصفها محاولة رمزية لتفسير الكون. المستوى الثالث يتمثل في العقائد السريالية الجديدة التي تتشكل في الثقافة المعاصرة عبر مزج عناصر من الأسطورة والروحانية الفردية وبعض المفاهيم العلمية. هذا التمييز يساعد على فهم طبيعة الظاهرة دون الخلط بين مستويات مختلفة من الخطاب الديني والثقافي. (آرمسترونغ، ٢٠٠٧، ص ١٤٢) التراث الإسلامي قدم نموذجاً مختلفاً في التعامل مع قضية الغيب والمعنى. النص القرآني يضع حدوداً واضحة بين المعرفة التي

مصدرها الوحي وبين الظنون والأساطير التي تنشأ من الخيال البشري. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وجه الدلالة أن المعرفة الدينية تحتاج إلى مصدر موثوق وإلى منهج معرفي منضبط، وهو ما يميز العقيدة الإسلامية عن السرديات الميثولوجية التي تقوم على التخيل الرمزي. (الرازي، ١٩٩٩، ص ٢٠٣)

مع ذلك فإن دراسة العقائد السريالية الجديدة لا تهدف إلى إصدار أحكام سريعة بقدر ما تسعى إلى فهم السياق الفكري الذي أفرزها. هذه المعتقدات تمثل استجابة ثقافية لحالة إنسانية معقدة يعيشها الإنسان المعاصر؛ حالة تجمع بين الانبهار بالتقدم العلمي والرغبة العميقة في العثور على معنى روحي للحياة. هذا التوتر بين العلم والروحانية يشكل أحد المحركات الأساسية لظهور هذه الظاهرة. (بيرغر، ٢٠١٤، ص ٦٧) البعد السوسيولوجي يضيف زاوية أخرى للفهم. علماء الاجتماع يشيرون إلى أن المجتمعات الحديثة تشهد تحولات في طبيعة الهوية الدينية؛ الفرد أصبح أكثر استقلالاً في تشكيل معتقداته مقارنة بالمجتمعات التقليدية. هذه الفردانية الدينية تسمح بظهور أشكال جديدة من التدين، بعضها يعتمد على إعادة تفسير الرموز الدينية القديمة، وبعضها يبتكر سرديات روحية جديدة بالكامل. (غيدنز، ١٩٩١، ص ١٦٧) هذا التمهيد يقود إلى نتيجة أولية مفادها أن العقائد السريالية الجديدة ليست ظاهرة عشوائية ظهرت فجأة في الثقافة المعاصرة. إنها نتاج تفاعل معقد بين عوامل متعددة: التحولات الفكرية للحداثة، انتشار الثقافة الرقمية، البحث الوجودي عن المعنى، والرغبة الإنسانية القديمة في فهم الغيب. فهم هذه الظاهرة يتطلب قراءة متعددة الأبعاد تجمع بين التحليل العقدي والدراسة السوسيولوجية للثقافة المعاصرة. (بيك، ٢٠٠٦، ص ١٢١) هكذا يتشكل الإطار المفاهيمي الذي ينطلق منه هذا البحث. العقائد السريالية الجديدة تظهر كظاهرة فكرية عند تقاطع ثلاثة مسارات: المسار الميثولوجي الذي يحمل رموز الأسطورة القديمة، والمسار الروحي الذي يعبر عن حاجة الإنسان إلى المعنى، والمسار الثقافي الرقمي الذي يسمح بانتشار هذه الأفكار في فضاء عالمي واسع. قراءة هذه المسارات مجتمعة تساعد على فهم طبيعة الظاهرة قبل الانتقال إلى تحليلها نقدياً في ضوء أصول العقيدة الإسلامية.

٢.المطلب الأول: مفهوم العقائد السريالية الجديدة وتحديد مصطلحاتها بين الميثولوجيا الحديثة والروحانيات المعاصرة

يدخل الباحث إلى هذا المطلب وكأنه يقف عند مفترق طرق بين ثلاثة عوالم فكرية مختلفة؛ عالم الميثولوجيا القديمة الذي نسجته مخيلة الإنسان في الأزمنة الأولى، وعالم الروحانيات الحديثة التي عادت إلى الظهور في الثقافة المعاصرة، وعالم ثالث يتشكل الآن في أطراف الوعي الثقافي ويمكن تسميته اصطلاحاً بالعقائد السريالية الجديدة. هذه العقائد ليست ديناً تقليدياً يمتلك نصوصاً مقدسة وتراثاً مؤسسياً واضحاً، ولا هي أسطورة كلاسيكية كما عرفتها الحضارات القديمة؛ إنها بنية اعتقادية هجينة تنشأ عند تقاطع الخيال الرمزي مع اللغة العلمية الشعبية ومع نزعات روحية فردية تبحث عن معنى يتجاوز حدود المادة. (تايلور، ٢٠٠٧، ص ٤١) هذا المفهوم يحتاج قبل كل شيء إلى ضبط المصطلح. كلمة العقائد تشير في السياق العقدي إلى منظومة من التصورات التي يعتقدها الإنسان حول الوجود والغيب والإنسان والمصير. هذه المنظومة قد تكون مؤسسة على الوحي

كما في الأديان الإبراهيمية، وقد تنشأ من سرديات أسطورية كما في الميثولوجيات القديمة. أما وصفها بالسريالية في هذا البحث فلا يُقصد به المعنى الفني الضيق المرتبط بالمدرسة السريالية في الأدب والفن، وإنما يشير إلى طبيعة هذه المعتقدات التي تتجاوز الواقع المألوف وتستند إلى صور رمزية تمزج بين الحلم والأسطورة وبعض المفاهيم العلمية المتداولة في الثقافة الشعبية. (بودريار، ١٩٩٦، ص ٧٣) هذه العقائد تظهر عادة في فضاء ثقافي يتسم بالانفتاح المعرفي والتعدد الرمزي. الثقافة المعاصرة، ولا سيما في البيئة الرقمية، توفر بيئة خصبة لهذا النوع من التصورات. الأفكار تنتقل بسرعة هائلة عبر الشبكات العالمية، والإنسان المعاصر يتعرض يومياً لمزيج من الخطابات العلمية والفلسفية والروحانية. هذا التداخل بين الخطابات يخلق في ذهن بعض الأفراد رغبة في بناء رؤية كونية تجمع بين عناصر متعددة؛ قليلاً من العلم، قليلاً من الفلسفة، وكثيراً من الرموز الروحية التي تستعير من الميثولوجيا القديمة صورها الأساسية. (كاستلز، ٢٠١٠، ص ٤٠١)

تحديد مفهوم العقائد السريالية الجديدة

لفهم هذا المفهوم ينبغي العودة خطوة إلى الوراء وتأمل تطور فكرة الاعتقاد في التاريخ الإنساني. المجتمعات القديمة اعتمدت في تفسير الكون على منظومات أسطورية؛ الآلهة، القوى الكونية، الأرواح التي تتحكم في الظواهر الطبيعية. هذه السرديات كانت محاولة رمزية لفهم العالم في زمن لم تكن فيه المعرفة العلمية قد تطورت بعد. الميثولوجيا إذن تمثل لغة رمزية لفهم الكون، لغة تمزج بين الخيال والرمز والطقس الديني. (إلياد، ١٩٥٧، ص ٨)

العقائد السريالية الجديدة تختلف عن هذه الميثولوجيا الكلاسيكية في نقطة مهمة. الإنسان المعاصر يعيش في عالم يعرف الكثير عن قوانين الطبيعة والكون، ولهذا فإن المعتقدات الجديدة تحاول الجمع بين الأسطورة واللغة العلمية. الخطاب السريالي الحديث قد يتحدث عن «الطاقة الكونية» أو «الوعي الكوني» أو «الأبعاد المتعددة»، وهي مفاهيم مستعارة جزئياً من الفيزياء أو علم النفس، ثم يعاد توظيفها داخل سردية روحية ذات طابع ميثولوجي. (ليفي، ٢٠٠٤، ص ٨٤) هذه البنية الهجينة تمنح العقائد السريالية قدرة على الانتشار؛ لأنها تقدم خطاباً يبدو للمتلقي قريباً من العلم وفي الوقت نفسه مشبعاً بالروحانية. الإنسان الذي يشعر ببرودة العالم المادي قد يجد في هذه السرديات نوعاً من التعويض الرمزي؛ رؤية كونية تمنحه إحساساً بالمعنى والاتصال بعالم أوسع من حدود التجربة اليومية. (بيرغر، ٢٠١٤، ص ٥٢) ولم تختف الميثولوجيا من الثقافة الإنسانية كما قد يتصور البعض. كثير من المفكرين يرون أن الأسطورة تتغير أشكالها مع تغير العصور. الإنسان الحديث قد لا يؤمن بالآلهة القديمة، غير أن حاجته إلى الرموز التفسيرية ما زالت قائمة. هذه الحاجة تدفعه أحياناً إلى إنتاج سرديات جديدة تحاول تفسير الكون والوجود بطريقة رمزية. (كامبل، ١٩٩١، ص ١٥) الميثولوجيا الحديثة تظهر في الثقافة الشعبية من خلال القصص الكونية، ونظريات الطاقة الروحية، وبعض الخطابات التي تمزج بين الفلسفة الشرقية والعلم الغربي. هذه السرديات لا تقدم نفسها دائماً بوصفها أساطير؛ كثير منها يُقدَّم بلغة تبدو علمية أو فلسفية. غير أن تحليل بنيتها يكشف أنها تعتمد على نمط التفكير الرمزي ذاته الذي قامت عليه الأساطير القديمة. (أسماء، ٢٠١١،

ص ٩٣) العقائد السريالية الجديدة تمثل أحد أشكال هذه الميثولوجيا الحديثة. الفرق أن هذه العقائد تتشكل في فضاء ثقافي عالمي، حيث تنتقل الأفكار عبر الإنترنت والمنصات الرقمية. شخص يعيش في قارة بعيدة قد يتبنى سردية روحية نشأت في ثقافة أخرى، ثم يعيد تفسيرها وفق تجربته الشخصية. النتيجة شبكة واسعة من المعتقدات التي تتشارك في بعض الرموز العامة على الرغم من اختلاف تفاصيلها. (غيدنز، ٢٠٠٠، ص ١٢٨)

الروحانيات المعاصرة وأثرها في تشكيل هذه العقائد

الروحانيات المعاصرة تمثل أحد المصادر الأساسية لهذه الظاهرة. كثير من الأفراد في المجتمعات الحديثة يبحثون عن تجربة روحية شخصية خارج الإطار المؤسسي للأديان التقليدية. هذه النزعة ظهرت بوضوح في بعض الحركات الثقافية منذ النصف الثاني من القرن العشرين، حيث بدأ الحديث عن «الروحانية الفردية» بوصفها تجربة ذاتية لا تعتمد على مؤسسة دينية محددة. (هيلاس وودهد، ٢٠٠٥، ص ٣٣)

هذه الروحانية الجديدة تميل إلى الانتقائية؛ الفرد يختار من التقاليد المختلفة ما ينسجم مع تجربته الخاصة. قد يستعير بعض المفاهيم من التصوف الشرقي، وبعض الرموز من الفلسفة الغربية، ثم يدمجها في رؤية شخصية للكون والإنسان. في هذه البيئة تظهر العقائد السريالية بوصفها سرديات روحية مفتوحة تسمح لكل فرد بإعادة تفسيرها وفق تجربته الخاصة. (هانغراف، ١٩٩٨، ص ١١٥) الثقافة الرقمية عززت هذا الاتجاه. منصات التواصل توفر فضاءً واسعاً لتبادل التأملات الروحية والنظريات الكونية غير التقليدية. مقاطع الفيديو والكتب الإلكترونية والمنتديات الرقمية تسمح بانتشار هذه الأفكار بسرعة كبيرة. مع مرور الوقت قد تتشكل حول بعض هذه الأفكار جماعات افتراضية تتبنى خطاباً روحياً مشتركاً. (كاستلز، ٢٠١٠، ص ٤١٧)

القراءة العقدية لمفهوم العقائد السريالية

التحليل العقدي لهذه الظاهرة يبدأ من تحديد مصدر المعرفة الدينية. في التصور الإسلامي يرتبط الاعتقاد بمصدر معرفي واضح يتمثل في الوحي. النص القرآني يضع أساساً معرفياً للعقيدة يقوم على اليقين المستند إلى الوحي والنظر العقلي في دلائل الخلق. يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. وجه الدلالة أن المعرفة الدينية تحتاج إلى برهان واضح، سواء كان نصاً موحى به أو دليلاً عقلياً يقود إلى معرفة الخالق. (الرازي، ١٩٩٩، ص ١١٢) العقائد السريالية الجديدة تعتمد غالباً على سرديات رمزية لا تستند إلى مصدر معرفي محدد. الخطاب فيها يقوم على التأويل الحر للرموز وعلى مزج مفاهيم علمية بقراءات روحية. هذا النمط من التفكير قد يمنح المتلقي إحساساً بالعمق الروحي، غير أن بنيته المعرفية تختلف جذرياً عن المعرفة العقدية التي تقوم على الوحي والبرهان. (حنفي، ٢٠١٠، ص ٢٠٤) القرآن الكريم يشير إلى ميل الإنسان إلى اختلاق تصورات عن الغيب حين يغيب عنه الوحي. يقول تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]. وجه الدلالة أن الاعتقاد إذا انفصل عن مصدر معرفي موثوق قد يتحول إلى ظنون تتشكل وفق الأهواء والتخيلات. هذه الآية تقدم إطاراً منهجياً لتحليل الظواهر الاعتقادية التي تنشأ خارج إطار الوحي. (القرطبي، ٢٠٠٦، ص ٩٨)

خصائص العقائد السريالية الجديدة

يمكن ملاحظة مجموعة من الخصائص المشتركة في هذه العقائد. أولها الطابع الرمزي؛ الخطاب يعتمد على صور ميثولوجية أو استعارات كونية. ثانيها الانتقائية المعرفية؛ المفاهيم العلمية تُستعمل غالباً بصورة جزئية خارج سياقها الأصلي. ثالثها الفردانية؛ التجربة الروحية تُقدَّم بوصفها تجربة شخصية لكل فرد. رابعها الانتشار الرقمي؛ هذه المعتقدات تنتقل أساساً عبر المنصات الإلكترونية والوسائط الإعلامية الحديثة. (بيك، ٢٠٠٦، ص ١٣٣)

هذه الخصائص تكشف أن الظاهرة تعكس تحولات عميقة في الثقافة المعاصرة. الإنسان يعيش في عالم تتداخل فيه العلوم مع الأساطير، والتقنية مع الروحانية. بعض الأفراد يحاولون بناء رؤية كونية تجمع بين هذه العناصر المتباعدة، فتظهر العقائد السريالية بوصفها محاولة رمزية لفهم الكون في زمن تتعدد فيه مصادر المعرفة وتتداخل فيه الخطابات الفكرية. (آرمسترونغ، ٢٠٠٧، ص ١٧١) بهذا المعنى يمكن النظر إلى العقائد السريالية الجديدة بوصفها ظاهرة ثقافية معقدة تعكس حالة البحث عن المعنى في العصر المعاصر. فهم هذه الظاهرة يحتاج إلى قراءة تجمع بين التحليل العقدي والدراسة السوسيولوجية للثقافة الرقمية، لأن جذورها تمتد في آن واحد إلى البنية النفسية للإنسان وإلى التحولات الكبرى التي يعيشها العالم في زمن العولمة.

٣.المطلب الثاني: العوامل الفكرية والثقافية التي أسهمت في نشوء العقائد الميثولوجية المعاصرة

يدخل الباحث في هذا المطلب إلى منطقة فكرية تتقاطع فيها مسارات متعددة من التحولات الثقافية والاجتماعية. العقائد الميثولوجية المعاصرة لا تنشأ في فراغ معرفي، وإنما تتشكل داخل بيئة ثقافية واسعة تتداخل فيها الفلسفة الحديثة مع الإعلام الرقمي ومع التحولات النفسية والروحية التي يعيشها الإنسان المعاصر. الظاهرة تبدو للوهلة الأولى غريبة؛ عالم يحقق تقدماً علمياً غير مسبوق، وفي الوقت نفسه تنبت داخله أنماط جديدة من الاعتقاد تميل إلى الرمزية والأسطورة. غير أن القراءة السوسيولوجية تكشف أن هذه الظاهرة تمثل استجابة ثقافية لحالة إنسانية عميقة تتعلق بالبحث عن المعنى والهوية في زمن التحولات الكبرى. (غيدنز، ٢٠٠٠، ص ١٤٢)

أزمة المعنى في الحداثة المتأخرة

من أبرز العوامل الفكرية التي مهدت لظهور العقائد الميثولوجية المعاصرة ما يسميه بعض علماء الاجتماع أزمة المعنى في المجتمعات الحديثة. الحداثة قدمت إنجازات هائلة في مجالات العلم والتقنية والتنظيم الاجتماعي، غير أن هذا التقدم ترافق مع تحولات عميقة في بنية الوعي الثقافي. كثير من المفكرين لاحظوا أن العقلانية العلمية التي هيمنت على الفكر الغربي منذ القرن السابع عشر أسهمت في إضعاف بعض الأطر الرمزية التقليدية التي كانت تمنح الإنسان تفسيراً شاملاً للعالم. (بيرغر، ٢٠١٤، ص ٦٨) حين تتراجع الأطر الرمزية الكبرى التي كانت تقدم معنى متكاملاً للحياة، يظهر فراغ روحي في بعض البيئات الثقافية. الإنسان بطبيعته يميل إلى البحث عن تفسير يتجاوز حدود المادة، وعندما يشعر بأن العالم الحديث لا يجيب عن أسئلته الوجودية العميقة يبدأ بالبحث عن بدائل رمزية. في هذه اللحظة تظهر السرديات الميثولوجية الجديدة بوصفها محاولة لتقديم تفسير كوني يجمع بين العلم والروحانية. (تايلور، ٢٠٠٧، ص ٤٧٢) التحليل الفلسفي لهذه الظاهرة يشير إلى أن

الإنسان المعاصر يعيش نوعاً من التوتر بين عقل علمي صارم وحاجة نفسية إلى المعنى. العلم يفسر كيفية عمل الكون، بينما يبحث الإنسان عن معنى وجوده داخل هذا الكون. هذا التوتر قد يدفع بعض الأفراد إلى إنتاج سرديات رمزية تمزج بين المفاهيم العلمية والخيال الميثولوجي في محاولة لبناء رؤية كونية متكاملة. (فرانكل، ١٩٩٢، ص ١٠٥)

العولمة الثقافية وتداخل المرجعيات الفكرية

العولمة الثقافية تمثل عاملاً مركزياً في انتشار العقائد الميثولوجية المعاصرة. العالم أصبح شبكة متصلة من الثقافات والأفكار؛ الكتب والمقالات والمقاطع المرئية تنتقل بين القارات خلال لحظات. هذا التدفق الهائل للمعلومات يخلق بيئة معرفية متعددة المرجعيات. الفرد قد يتعرض في يوم واحد لخطاب علمي فيزيائي، وتأملات روحية شرقية، وسرديات أسطورية مستوحاة من ثقافات مختلفة. (كاستلز، ٢٠١٠، ص ٤٢٢) هذا التداخل بين المرجعيات الثقافية يسمح بظهور أشكال جديدة من الاعتقاد. الإنسان قد يستعير بعض الرموز من الفلسفات الشرقية، ويضيف إليها مفاهيم مأخوذة من الفيزياء الحديثة أو علم النفس، ثم يدمج هذه العناصر في رؤية روحية جديدة. هذه العملية تشبه تركيب فسيفساء من قطع متعددة المصادر. النتيجة خطاب اعتقادي لا ينتمي إلى تقليد ديني واحد، وإنما يتشكل من عناصر ثقافية متنوعة. (هانغراف، ١٩٩٨، ص ٢٠١) العولمة لا تنقل الأفكار فحسب؛ إنها تعيد تشكيل الذوق الثقافي أيضاً. الثقافة الرقمية تميل إلى الخطاب المختصر والصورة الرمزية السريعة، وهذا النمط من التواصل يناسب السرديات الميثولوجية التي تعتمد على الرموز والصور أكثر من اعتمادها على البرهان المنطقي الطويل. (ليفي، ٢٠٠٤، ص ١١٨)

البيئة الرقمية وانتشار الخطابات الروحية البديلة

الثورة الرقمية لعبت دوراً حاسماً في انتشار هذه الظاهرة. الإنترنت فتح فضاءً معرفياً غير محدود، حيث يمكن لأي فرد أن ينشر أفكاره الروحية أو الفلسفية وأن يصل إلى جمهور عالمي. هذه البيئة الرقمية تسمح بظهور مجتمعات افتراضية تتشارك في تبني بعض المعتقدات أو التأملات الروحية. (بيك، ٢٠٠٦، ص ١٤٧) الخطابات الميثولوجية الجديدة تجد في هذه البيئة مجالاً مناسباً للانتشار. مقاطع الفيديو القصيرة والكتب الإلكترونية والمنتديات الرقمية تنشر أفكاراً تتعلق بالطاقة الكونية أو الوعي الجماعي أو العوالم المتعددة. هذه المفاهيم تُعرض غالباً بأسلوب يجمع بين اللغة العلمية والرمزية الروحية، وهو ما يمنحها جاذبية لدى جمهور واسع يبحث عن تفسير بسيط ومعبر للعالم. (كاستلز، ٢٠١٠، ص ٤٣١) الثقافة الرقمية تسمح أيضاً بتكوين جماعات فكرية حول هذه المعتقدات. بعض الأفراد يجدون في هذه المجتمعات الافتراضية شعوراً بالانتماء والهوية، وهو عنصر مهم في استمرار أي منظومة اعتقادية. (باومان، ٢٠٠٠، ص ١٦٢)

النزعة الفردية في التجربة الروحية المعاصرة

من العوامل المهمة أيضاً صعود النزعة الفردية في تشكيل التجربة الدينية. المجتمعات الحديثة تمنح الفرد مساحة واسعة لاختيار معتقداته وقيمه الشخصية. هذا التحول أدى إلى ظهور ما يسميه بعض الباحثين الروحانية الفردية، حيث يبني الإنسان تجربته الروحية الخاصة خارج الأطر المؤسسية التقليدية. (هيلاس وودهد، ٢٠٠٥، ص ٥٩) في هذا السياق

يصبح الاعتقاد مشروعاً شخصياً أكثر منه التزاماً جماعياً. الفرد قد يختار بعض الرموز أو الأفكار التي يجد فيها معنى لحياته، ثم يعيد تركيبها في منظومة اعتقادية خاصة به. العقائد الميثولوجية المعاصرة غالباً ما تنشأ داخل هذا النوع من التجربة الروحية الفردية. (غيدنز، ١٩٩١، ص ٢٠٣)

القراءة العقدية لهذه التحولات

التراث العقدي الإسلامي يقدم زاوية تحليلية مختلفة لهذه الظاهرة. النص القرآني يؤكد أن الإنسان يحمل في فطرته ميلاً إلى الإيمان بالله وإلى البحث عن الحقيقة الروحية. يقول تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. وجه الدلالة أن الفطرة الإنسانية تميل بطبيعتها إلى الاعتراف بالخالق والبحث عن المعنى الروحي للحياة. (الطبري، ٢٠٠٠، ص ٣٥٤) حين تتصل هذه الفطرة بالوحي تتشكل العقيدة القائمة على اليقين والبرهان. أما حين تنفصل عن هذا المصدر فقد تتجه إلى بناء تصورات ميثولوجية تحاول تفسير الغيب بوسائل رمزية. القرآن يشير إلى هذا الميل حين يتحدث عن الأمم التي صنعت لنفسها آلهة أو سرديات أسطورية لتفسير العالم. (الرازي، ١٩٩٩، ص ٢٧٦) من هذا المنظور يمكن فهم العقائد الميثولوجية المعاصرة بوصفها استجابة بشرية لحاجة روحية عميقة، غير أنها تتشكل خارج الإطار المعرفي الذي يقدمه الوحي. هذه القراءة تساعد على تحليل الظاهرة دون اختزالها في مجرد وهم ثقافي؛ إنها تعبير عن حاجة إنسانية إلى المعنى، حاجة تحتاج إلى خطاب عقدي قادر على مخاطبة الإنسان المعاصر بلغة تجمع بين البرهان العقلي والعمق الروحي. (حنفي، ٢٠١٠، ص ٢٣١) الصورة العامة التي تتشكل من هذا التحليل تكشف أن نشوء العقائد الميثولوجية المعاصرة نتيجة تفاعل مجموعة واسعة من العوامل الفكرية والثقافية: أزمة المعنى في الحداثة، العولمة الثقافية، البيئة الرقمية، والنزعة الفردية في التجربة الروحية. هذه العوامل مجتمعة تخلق فضاءً معرفياً يسمح بظهور سرديات اعتقادية جديدة تحاول تفسير العالم بطرائق رمزية تجمع بين الأسطورة واللغة العلمية الحديثة.

٤.المطلب الثالث: التحليل العقدي النقدي للعقائد السريالية الجديدة وآثارها في تشكيل الوعي الديني المعاصر

يدخل الباحث في هذا المطلب إلى المرحلة الأشد حساسية في هذا البحث؛ مرحلة التحليل العقدي النقدي. فالمسألة هنا لم تعد وصفاً لظاهرة ثقافية أو قراءة لسياقاتها الاجتماعية، وإنما انتقال إلى ميدان التقويم المعرفي الذي يميز بين الاعتقاد المؤسس على مصدر موثوق وبين التصورات التي تنشأ من الخيال الرمزي أو من التأويلات الثقافية الحرة. العقائد السريالية الجديدة تمثل نموذجاً واضحاً لهذا النوع من الظواهر؛ خطاب روحي يتشكل في فضاء الثقافة الرقمية، يستعير مفاهيم من الفيزياء أو علم النفس، ويعيد تركيبها داخل سرديات رمزية ذات طابع ميثولوجي. هذه السرديات تبدو للمتلقي عميقة وغامضة في آن واحد، غير أن التحليل العقدي يكشف أنها تعتمد غالباً على بنية معرفية غير منضبطة من حيث المصدر والمنهج. (تايلور، ٢٠٠٧، ص ٤٩٨)

مصدر المعرفة في العقائد السريالية ومشكلة المرجعية

أول ما يتوقف عنده التحليل العقدي هو مسألة مصدر المعرفة. في التصور الإسلامي تتحدد المعرفة العقدية من خلال مصدرين رئيسين: الوحي والنظر العقلي في دلائل الخلق. الوحي يقدم مضمون العقيدة،

والعقل يسهم في فهم هذا المضمون وإقامة البرهان عليه. هذه الثنائية بين النص والعقل شكلت عبر التاريخ الإسلامي الأساس الذي قام عليه علم الكلام والدفاع عن العقيدة. (الإيجي، ١٩٩٧، ص ٩٢) العقائد السريالية الجديدة تتحرك خارج هذا الإطار. الخطاب فيها يعتمد على تأويلات فردية للرموز وعلى استحضار مفاهيم علمية بصورة جزئية. بعض هذه المعتقدات يتحدث عن «الوعي الكوني» أو «الطاقة الكونية» بوصفها قوى روحية تحكم العالم. المفاهيم العلمية تُستعمل هنا بوصفها استعارات رمزية أكثر من كونها مفاهيم علمية دقيقة. (بودريار، ١٩٩٦، ص ١٢١) القرآن الكريم يضع قاعدة معرفية واضحة في التعامل مع قضايا الغيب؛ المعرفة تحتاج إلى دليل موثوق. يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. وجه الدلالة أن الاعتقاد لا يقوم على الظن أو التخيل، وإنما يحتاج إلى برهان معرفي يثبت صحته. هذا المبدأ يمثل معياراً أساسياً في تقويم أي خطاب اعتقادي. (الطبري، ٢٠٠٠، ص ٤٢١)

البنية الرمزية للعقائد السريالية وتحول الأسطورة

التحليل النقدي يكشف أن العقائد السريالية الجديدة تعتمد على بنية رمزية تشبه بنية الأسطورة القديمة. الأسطورة تقدم تفسيراً للكون من خلال شخصيات رمزية وقوى خفية تتحكم في مصير الإنسان. هذه البنية الرمزية عادت إلى الظهور في الثقافة المعاصرة بطرائق مختلفة؛ بدلاً من الآلهة القديمة تظهر مفاهيم مثل «الوعي الكوني» أو «الطاقة الشاملة». (إلياد، ١٩٥٧، ص ٦٣) علماء الأنثروبولوجيا يرون أن الأسطورة تؤدي وظيفة نفسية وثقافية؛ إنها تمنح الإنسان إطاراً رمزياً لفهم العالم. غير أن الخطاب الديني المؤسس على الوحي يختلف عن الأسطورة في نقطة جوهرية؛ الوحي يقدم معرفة يقينية مصدرها الإله، في حين تعتمد الأسطورة على الخيال الرمزي والتجربة الثقافية للجماعة. (كامبل، ١٩٩١، ص ٧١) العقائد السريالية تقع غالباً في المنطقة الوسطى بين هذين النمطين؛ فهي تستعير لغة الدين والروحانية، غير أنها تبني تصوراتها على سرديات رمزية لا تستند إلى مصدر معرفي محدد. (آرمسترونغ، ٢٠٠٧، ص ١٨٣)

أثر هذه العقائد في تشكيل الوعي الديني

الانتشار الواسع للعقائد السريالية في البيئة الرقمية يترك أثراً ملحوظاً في الوعي الديني المعاصر. بعض الأفراد يتأثرون بهذه السرديات لأنها تقدم تفسيراً بسيطاً ومباشراً للوجود. الخطاب السريالي غالباً ما يعتمد على لغة رمزية جذابة وعلى سرديات كونية واسعة، وهو ما يمنحه قدرة على الانتشار في الثقافة الشعبية. (كاستلز، ٢٠١٠، ص ٤٣٨) هذا الانتشار قد يؤدي إلى نوع من التشوش المعرفي لدى بعض المتلقين. الفرد قد يخلط بين المفاهيم العلمية الحقيقية وبين التأويلات الرمزية التي تقدمها هذه العقائد. كما قد يدمج بين مفاهيم دينية أصيلة وسرديات ميثولوجية حديثة دون تمييز واضح بين المصدرين. (غيدنز، ٢٠٠٠، ص ١٩١) في المقابل تشير بعض الدراسات السوسيولوجية إلى أن هذه الظاهرة تعكس أيضاً حاجة إنسانية عميقة إلى المعنى الروحي. الإنسان المعاصر يعيش في عالم سريع الإيقاع تهيمن عليه التقنية والاقتصاد، وهذا الواقع قد يدفع بعض الأفراد إلى البحث عن تجربة روحية تعيد التوازن إلى حياتهم. (بيرغر، ٢٠١٤، ص ٨٤)

الموقف العقدي من هذه الظاهرة

التحليل العقدي لا يكتفي برفض الظاهرة أو قبولها بصورة عامة، وإنما يسعى إلى فهمها وتقويمها وفق معايير معرفية واضحة. النص القرآني يميز بين نوعين من المعرفة: معرفة تقوم على الدليل، ومعرفة تقوم على الظن. يقول تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]. وجه الدلالة أن الاعتقاد الذي يقوم على الظنون لا يمكن أن يكون أساساً لمعرفة يقينية عن الغيب. (الرازي، ١٩٩٩، ص ٣٢٢) من هذا المنطلق يمكن القول إن العقائد السريالية الجديدة تمثل محاولة بشرية للبحث عن المعنى، غير أنها تعتمد على مصادر معرفية غير منضبطة. الخطاب العقدي الإسلامي يقدم بديلاً معرفياً يقوم على الوحي والنظر العقلي المنهجي، وهو ما يمنح الاعتقاد بنية معرفية أكثر اتساقاً. (الغزالي، ٢٠٠٥، ص ٥٨)

الحاجة إلى خطاب عقدي معاصر

ظهور هذه الظاهرة يلفت الانتباه إلى ضرورة تطوير خطاب عقدي معاصر قادر على مخاطبة الإنسان في عصر العولمة الرقمية. الخطاب العقدي يحتاج إلى الجمع بين عمق التراث والقدرة على تحليل التحولات الفكرية الحديثة. الإنسان المعاصر لا يبحث عن معلومات دينية فحسب؛ إنه يبحث عن تفسير شامل للعالم يمنحه معنى لوجوده. (حنفي، ٢٠١٠، ص ٢٦٣)

العقيدة الإسلامية تمتلك مقومات هذا الخطاب؛ النص القرآني يقدم رؤية كونية متكاملة تجمع بين العقل والإيمان وبين العلم والمعنى. الآية الكريمة تقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. وجه الدلالة أن المعرفة الدينية في الإسلام لا تنفصل عن التأمل في الكون وعن البحث العلمي، بل تتكامل معه في بناء رؤية متوازنة للعالم. (القرطبي، ٢٠٠٦، ص ٣٢٤) الصورة النهائية التي يقدمها هذا التحليل تكشف أن العقائد السريالية الجديدة ظاهرة ثقافية تعكس تحولات عميقة في الوعي الإنساني. إنها نتاج تفاعل بين البحث الروحي الفردي وبين البيئة الثقافية الرقمية التي تسمح بانتشار السرديات الرمزية. غير أن التقييم العقدي يوضح أن هذه المعتقدات تعتمد على بنية معرفية غير مستقرة، وهو ما يجعل الحاجة ملحة إلى خطاب عقدي علمي قادر على توضيح الفرق بين المعرفة الدينية القائمة على الوحي وبين التصورات الميثولوجية التي تتشكل في المخيلة الثقافية المعاصرة.

٥.الخاتمة

حين يصل البحث إلى محطته الأخيرة تتكشف الصورة الكلية لهذه الظاهرة الفكرية التي حاولت الصفحات السابقة الاقتراب منها خطوة بعد خطوة. العالم المعاصر يعيش لحظة ثقافية فريدة؛ التقنية توسع حدود المعرفة، والإنسان يجد نفسه في فضاء كوني مفتوح تتجاور فيه العلوم الدقيقة مع الرموز الروحية القديمة. في هذا المناخ تنشأ ظواهر فكرية تبدو أحياناً كأنها شذرات من أسطورة قديمة أُعيد بعثها في ثوب رقمي حديث. العقائد السريالية الجديدة تمثل واحداً من هذه التحولات؛ خطاب روحي يتشكل عند حافة العلم والخيال، يستعير مفاهيم من الفيزياء أو علم النفس، ثم ينسج منها سرديات كونية واسعة تَعِد الإنسان بمعنى شامل للوجود. التحليل الذي سلكه هذا البحث كشف أن هذه العقائد لا يمكن فهمها من زاوية واحدة. خلفها عوامل ثقافية وفلسفية ونفسية متشابكة. الإنسان المعاصر يعيش حالة من القلق الوجودي في عالم سريع

التحول، وفي مثل هذه اللحظات يميل الوعي البشري إلى إنتاج سرديات رمزية تمنحه شعوراً بالاتصال بالعالم الكوني الأوسع. غير أن هذا البحث أظهر في الوقت نفسه أن هذه السرديات تقوم غالباً على بنية معرفية غير منضبطة؛ مفاهيم علمية تُستعمل خارج سياقها، رموز ميثولوجية تُعاد صياغتها في لغة تبدو حديثة، وتجارب روحية فردية تتحول إلى منظومات اعتقادية واسعة الانتشار عبر الفضاء الرقمي. القراءة العقدية لهذه الظاهرة تفتح زاوية مختلفة للفهم. العقيدة في التصور الإسلامي تقوم على معرفة تستند إلى الوحي وإلى النظر العقلي في دلائل الخلق، وهو ما يمنحها اتساقاً معرفياً يختلف عن السرديات الميثولوجية التي تتشكل في المخيلة الثقافية. هذا التمييز لا يعني تجاهل الدوافع الإنسانية التي تقف وراء هذه العقائد الجديدة؛ الإنسان يبحث دائماً عن معنى لحياته، وعندما يشعر بأن العالم المادي عاجز عن الإجابة عن أسئلته الكبرى يبدأ في بناء تصورات رمزية تعوض هذا الفراغ. من هنا تظهر أهمية الخطاب العقدي القادر على مخاطبة الإنسان المعاصر بلغة تجمع بين عمق الإيمان وصفاء العقل.

نتائج البحث

أول ما تكشف عنه هذه الدراسة أن العقائد السريالية الجديدة تمثل ظاهرة ثقافية معاصرة تتشكل عند تقاطع ثلاثة مجالات رئيسة: الميثولوجيا الرمزية القديمة، والروحانيات الفردية الحديثة، والخطاب العلمي الشعبي المنتشر في الثقافة الرقمية.

النتيجة الثانية أن العولمة الثقافية والبيئة الرقمية أسهمتا في تسريع انتشار هذه المعتقدات؛ الأفكار تنتقل عبر الشبكات العالمية بسرعة غير مسبوقة، وهو ما يسمح بتكوين جماعات فكرية عابرة للحدود تتبنى سرديات روحية مشتركة.

النتيجة الثالثة أن هذه العقائد تعتمد غالباً على بنية معرفية غير مستقرة، إذ تمزج بين مفاهيم علمية ورموز ميثولوجية دون منهج واضح يضبط العلاقة بينهما.

النتيجة الرابعة أن انتشار هذه السرديات يؤثر في تشكيل الوعي الديني لدى بعض الأفراد، حيث قد يؤدي إلى خلط بين المفاهيم العقدية المؤسسة على الوحي وبين التأويلات الرمزية التي تنتجها الثقافة المعاصرة.

النتيجة الخامسة أن التحليل العقدي يظهر قدرة التصور الإسلامي على تقديم رؤية معرفية متماسكة للكون تجمع بين الإيمان والعقل، وهو ما يمنحه إمكانية مخاطبة الإنسان المعاصر إذا قُدم في خطاب علمي متجدد.

التوصيات

توصي هذه الدراسة بضرورة توسيع البحث الأكاديمي في الظواهر الاعتقادية المعاصرة، لأن فهم هذه التحولات الفكرية يسهم في بناء خطاب علمي قادر على التعامل مع التغيرات الثقافية في عصر العولمة. كما توصي بتطوير دراسات مشتركة بين علوم العقيدة وعلم الاجتماع الديني والدراسات الثقافية، فهذه الظواهر لا يمكن فهمها من منظور واحد. وتوصي أيضاً بإعادة تقديم التراث العقدي الإسلامي بلغة معرفية معاصرة تستوعب الأسئلة الفلسفية التي يطرحها الإنسان اليوم، مع الحفاظ على الأصول العلمية التي قام عليها علم الكلام. وأخيراً توصي بالاهتمام بالتثقيف العقدي في البيئة الرقمية، لأن هذه البيئة أصبحت الساحة الأساسية التي تتشكل فيها كثير من الأفكار والمعتقدات لدى الأجيال الجديدة. خطاب عقدي

رصين، واضح الحجة، قريب من لغة العصر؛ ذلك هو الطريق الأكثر قدرة على توجيه الوعي الديني في زمن تتكاثر فيه السرديات والأساطير الجديدة كما تتكاثر النجوم في سماء رقمية لا تعرف حدوداً.

المصادر والمراجع

القرآن العظيم

١. آرمسترونغ، كارين. (٢٠٠٧). تاريخ الله: البحث عن الإله في اليهودية والمسيحية والإسلام. ترجمة فاضل جتكر. بيروت: دار الساقي.

٢. أسماء، يان. (٢٠١١). الذاكرة الثقافية: الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات القديمة. ترجمة محمد جديد. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

٣. إلياد، ميرتشا. (١٩٥٧). الأسطورة والواقع. ترجمة فؤاد كامل. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد. (١٩٩٧). المواقف في علم الكلام. بيروت: عالم الكتب.

٥. باومان، زيغمونت. (٢٠٠٠). الحداثة السائلة. ترجمة حجاج أبو جبر. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

٦. بودريار، جان. (١٩٩٦). المجتمع الاستهلاكي: أساطيره وبنياته. ترجمة خضر عواركة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

٧. بيرغر، بيتر ل. (٢٠١٤). المظلة المقدسة: عناصر نظرية سوسيولوجية للدين. ترجمة أحمد زايد. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

٨. حنفي، حسن. (٢٠١٠). من العقيدة إلى الثورة. القاهرة: مكتبة مدبولي.

٩. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (١٩٩٩). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٠. الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. القاهرة: دار هجر.

١١. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (٢٠٠٥). الاقتصاد في الاعتقاد. القاهرة: دار السلام.

١٢. غيدنز، أنتوني. (١٩٩١). الحداثة وهوية الذات: المجتمع في العصر الحديث المتأخر. ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

١٣. غيدنز، أنتوني. (٢٠٠٠). نتائج الحداثة. ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

١٤. فرانكل، فيكتور. (١٩٩٢). الإنسان يبحث عن معنى. ترجمة طلعت منصور. القاهرة: دار الشروق.

١٥. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (٢٠٠٦). الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦. كاستلز، مانويل. (٢٠١٠). عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة – صعود مجتمع الشبكات. ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

١٧. كامبل، جوزيف. (١٩٩١). قوة الأسطورة. ترجمة شوقي جلال. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٨. ليفي، بيير. (٢٠٠٤). الذكاء الجماعي: من أجل أنثروبولوجيا الفضاء الإلكتروني. ترجمة سعد البازعي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

١٩. هانغراف، فوتر ج. (١٩٩٨). ديانات العصر الجديد والثقافة الغربية: الباطنية في مرآة الفكر العلماني. ترجمة مركز دراسات الأديان. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

٢٠. هيلاس، بول، وودهد، ليندا. (٢٠٠٥). الثورة الروحية: لماذا تنتشر الروحانية اليوم. ترجمة مركز دراسات الأديان. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

References

1. Armstrong, Karen. (2007). *A History of God: The Quest for God in Judaism, Christianity, and Islam*. Translated by Fadel Jatkar. Beirut: Dar Al-Saqi.
2. Assmann, Jan. (2011). *Cultural Memory: Writing, Memory, and Political Identity in Ancient Civilizations*. Translated by Mohammed Jadid. Cairo: National Center for Translation.
3. Eliade, Mircea. (1957). *Myth and Reality*. Translated by Fouad Kamel. Cairo: Egyptian General Book Organization.

4. Al-Ījī, ʿAḍud al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān ibn Aḥmad. (1997). *Al-Mawāqif fī ʿIlm al-Kalām*. Beirut: ʿĀlam al-Kutub.
5. Bauman, Zygmunt. (2000). *Liquid Modernity*. Translated by Hajjaj Abu Jabr. Beirut: Arab Network for Research and Publishing.
6. Baudrillard, Jean. (1996). *The Consumer Society: Myths and Structures*. Translated by Khader Awaraka. Beirut: Arab Organization for Translation.
7. Berger, Peter L. (2014). *The Sacred Canopy: Elements of a Sociological Theory of Religion*. Translated by Ahmed Zayed. Cairo: National Center for Translation.
8. Hanafi, Hassan. (2010). *From Creed to Revolution*. Cairo: Madbouli Library.
9. Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn ʿUmar. (1999). *Mafātīḥ al-Ghayb (The Great Commentary)*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.
10. Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. (2000). *Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān*. Cairo: Dar Hajar.
11. Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad. (2005). *Al-Iqtisād fī al-Iʿtiqād*. Cairo: Dar Al-Salam.
12. Giddens, Anthony. (1991). *Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age*. Translated by Fayez Al-Sayyagh. Beirut: Arab Organization for Translation.
13. Giddens, Anthony. (2000). *The Consequences of Modernity*. Translated by Fayez Al-Sayyagh. Beirut: Arab Organization for Translation.
14. Frankl, Viktor E. (1992). *Man's Search for Meaning*. Translated by Talat Mansour. Cairo: Dar Al-Shorouk.
15. Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad al-Anṣārī. (2006). *Al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān*. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya.
16. Castells, Manuel. (2010). *The Information Age: Economy, Society, and Culture – The Rise of the Network Society*. Translated by Fayez Al-Sayyagh. Beirut: Arab Organization for Translation.
17. Campbell, Joseph. (1991). *The Power of Myth*. Translated by Shawqi Jalal. Cairo: Egyptian General Book Organization.
18. Lévy, Pierre. (2004). *Collective Intelligence: Toward an Anthropology of Cyberspace*. Translated by Saad Al-Bazai. Beirut: Arab Organization for Translation.
19. Hanegraaff, Wouter J. (1998). *New Age Religion and Western Culture: Esotericism in the Mirror of Secular Thought*. Translated by the Center for Religious Studies. Beirut: Arab Network for Research and Publishing.
20. Heelas, Paul, & Woodhead, Linda. (2005). *The Spiritual Revolution: Why Religion Is Giving Way to Spirituality*. Translated by the Center for Religious Studies. Beirut: Arab Network for Research and Publishing.